سنة ١٨٥٥ وانهُ ألّف كتاب ارزة لبنان فخلط بين المرحوم نقولا النقاش واخيهِ المرحوم مارون . وذكر بعد ذلك (ص ٤٣٢) مجلة انيس الجليس وفسّر انيس الجليس بالرفيق الامين (Le Compagnon fidèle) ونسبها الى السيّدتين الكسندرا اڤيرينو ولبيبة هاشم وهو عجيب مع ظهور هذه المجلة كل شهر وفي صدرها اسم صاحبتها بالعربية وعلى الجانب الآخر اسمها بالفرنسوية ...

وقد بقي هناك اشياء أُخر اجتزأنا عن ذكرها خوف الملل وفي مأمولنا ان المؤلف اذا وقف على هذه المآخذ وجد من حرصهِ على تقرير الحقائق ما يدعوهُ الى تلقّيها بالصدر الرحب وينبّههُ الى مراجعة رأيهِ في سائر الكتاب وفي رأينا انهُ لاغضاضة عليهِ ان يستعين باحد ابناء هذه اللغة في تسديد ما يكتبهُ عن ذويها فان صاحب البيت ادرى بما فيهِ والله الهادي الى سواء السبيل

ذكرى الهند

(تابع لما قبل)

وبعد ان اقمنا في بمباي اياماً ركبنا القطار الحديدي فسرنا الى بونا المشهورة بطيب هوآئها فبتنا فيها ليلةً ثم سرنا منها الى حيدر اباد الدكن . ومن غريب ما شاهدناهُ في طريقنا بعد خروجنا منها اننا رأينا فلاّحاً يحرث الارض بثمانية ثيران والسكة واحدة . وبلغنا حيدر اباد في مسآء الغد فاقمت هناك اياماً قضيت فيها عدة زيارات وكان ممن زرتهم ناظر المالية السيد علي بلكرامي الرجل الشهير بالمعارف في الهند فهو يعرف السنسكريتية والفارسية

واللاتينية والعربية والفرنسوية والتركية والهندية والانكليزية . وقد منحتهُ الدولة الانكليزية لقب شمس العلمآء وذهب في هذه السنة من قِبَل نظام المُلك الى مؤتمر المستشرقين الذي التأم في رومية . وفي قصرهِ مكتبة نفيسة تحوي الوفاً من المجلدات وقد ترجم من الفرنسوية الى الاردوية كتاب آداب العرب وذكر لنا انهُ درس اللاتينية على القس لويس الصابونجي في مدينة لندرا . ولهُ من العمر الآن زهآء خمسين سنة وهو لطيف المعاشرة

وفي هذه المدينة حديقة عمومية زرناها فوجدنا فيها كل ما يروق البصر ولا سيما الورود والرياحين المرتبة ترتيباً بديعاً والخضَر هناك والورود دائمة على مدار السنة ويمكن الزائر ان يطوف الحديقة كلها وهو راكبٌ عربةً ذات رأسين من الخيل . وفي احدى جهاتها حُجَر واقفاص للحيوانات المفترسة كالاسد والدب والضبع والخنزير والحية الكبرى وكذا للحيوانات الاليفة والطيور

ومما زرناهُ في حيدر اباد دار الضرب فارانا قيّمها جميع الآلات وضرب امامنا بعض القطع ويمكن ان يُضرَب يومياً زُهآء عشرين الف روبية . والفضة تُجلَب كلها من انكلترا اذ لا منجم للفضة في المملكة بل فيها منجم ذهب . وارانا ايضاً مطبعة الاوراق الرسمية للبريد والصكوك واوراق الحكومة بانواعها وهي متقنة يتولى ادارتها شاب انكليزي

وزرنا هناك المدرسة الملكية وحضرنا فيها درس الكيميآء وكان المدرّس انكليزيًّا والطلبة كلهم من الفُرس والهنود من وثنيين ومسيحيين . وكان في جملة السامعين عشر بنات وهنّ بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة من العمر

ولم نكن لنصدق ان في الهند هذه الرغبة في العلم لو لم نرَ ذلك رأي العين . وبعد ذلك طفنا على بقية معاهد المدرسة فشاهدت جميع الاساتذة يلقون الدروس على الطلبة وبينهم ثلاث معلمات يدرّسنَ الصغار ومدرّس للّغة العربية . وفي المدرسة المذكورة خمسة وعشرون طالباً يقيمون فيها وهم منتقَون من اكابر القوم ونفقتهم من الملك . واللغة الاساسية في هـذه المدرسة الانكليزية ثم الاردوية والفارسية والعربيـة والدروس العلمية تلقى كلها بالانكليزية

وبعد ذلك ذهبنا لزيارة القلعة القديمة لملوك حيدر اباد وقبور سلاطين الاسلام الاولين وهي على بعد ستة اميال من المدينة وتسمى كول كندا . وهي قائمة على قمة جبل شامخ يشرف على المدينة وعلى ما حولهُ من الجبال والهضاب والسهول الى مدًى بعيد الا ان اكثرها خراب وقد بقي منها اروقة جميلة تدلّ على جمال اصلها وحجرتان في اعلاها واما القصر الذي كان فيها فلم يبقَ منهُ الا رسوم وبعض اعمدة . ورأينا عدة مدافع ملقاة في ساحات القلعة قرأنا على بعضها هذه الكلمات « نظام علي خان بهادر سنة ١١٩٣ » . اما القلعة فلم نقف فيها على كتابات مع ما كانت عليه من العظمة والفخامة والظاهر ان ما كان فيها من الكتابة قد دُرِس فيما درستهُ منها الايام

وفي قمة القلعة شجرة ضخمة من الاشجار المقدسة عند الهنود يزورها عبَدة الاوثان منهم الى هذا اليوم ويقدمون امامها البخور والذبائح . وفي صحن دار القصر حوض طولهُ نحو ثلاثين متراً في عرض عشرين وعمق

ثمانية يزعم الهنود ان هذا الحوض كان يُملأ بمآء الورد فينزل الملك في قارب ويجول فيه

وعلى مسافة ميلين من القلعة قبور سلاطين المغول وغيرهم وعليها قباب شامخة الارتفاع ذات هندسة بديعة وقد قرأنا على احد القبور ما صورتهُ « هذا قبر الحرة الفاضلة ام عبدالله مولاة السلطان الاجل يحيى بن السداد الموفق الثغري الاسلامي توفيت في آخر رمضان سنة ٥٦٣ »

ومدينة حيدر اباد مؤلفة من اربع محلّات (جمع محلّة) وهي اسكندر اباد وتومكري و بولارم وحيدر اباد ويطلق على الكل حيدر اباد من باب تسمية الكل باسم البعض . وسكان هذه المحلات يبلغون زهآء خمس مئة الف نسمة منهم ثلاث مئة الف مسلمون واكثرهم على مذهب السُنّة والباقون من الهنود الوثنيين والفرس عَبَدة النار والشمس واما المسيحيون فلا يزيدون على الفي نفس

والعسكر الوطني مؤلف من المسلمين والهنود والمسيحيين . وفي كل مدرسة ضابط او اثنان تعينهما الحكومة لتعليم فن العسكرية للطلبة باجمعهم حتى الصغار . وفي المدينة فرقة من الخيالة تطوف الازقة والشوارع كل حين وفي ايديهم المزاريق للمحافظة على الراحة العمومية

وقد زرنا يوماً المكتبة الملكية فرأينا فيها كثيراً من دواوين عربية وفارسية وكتب دينية اسلامية منها بخط اليد ومنها مطبوعة وفيها شيء كثير باللغة الانكليزية وابواب هذه المكتبة مفتوحة ليلاً ونهاراً لمن شآء المطالعة في الكتب او الجرائد المحلية او الاجنبية

ولبثنا في حيدر اباد الى اليوم الخامس من كانون الاول وفي السادس منهُ ركبنا القطار قاصدين كلكتّا فقطعنا بلاداً واسعة كلها مخصبة خضراء كثيرة الاحراج والمزارع والمياه الى ان بلغنا كلكتا بعد ٤٨ ساعة فنزلنا من القطار وسرنا الى دار رئيس اساقفة كلكتا السيد بولس غولتاز. فجزنا فوق جسر حديدي امام المدينة طولهُ ١٢٤٠ قدماً انكليزية او ما يقرب من ٤٠٠ متر ويُفتَح هذا الجسر لمرور البواخر البحرية الكبرى ولمرور القطار الحديدي من جانبهِ الشرقي

وبعد ان اقمنا بهذه المدينة اياماً زرنا مها راجا تاكور (والراجا اسمٌ كانت تلقب بهِ ملوك الهند قبل استيلاء الانكليز على البلاد) ولما بلغنا القصر اذا جنديان شاكيا السلاح واقفان على باب القصر ولكل راجا انعام من لدن الحكومة الانكليزية ان يتخذ خمسة وعشرين جندياً لحراستهِ. وفي مدخل القصر غرفة معلق على جدرانها مئات من السيوف والمكاحل (البوارید) والخناجر والتروس . ثم رقينا الدَرَج فلما بلغنا اعلاهُ استقبلنا ابنهُ الاكبر فمشى امامنا حتى افضى بنا الى ردهة فسيحة مفروشة بالرياش الثمين والاخشاب الهندية البديعة الصنعة . وهناك تلقانا الراجا فوجدنا فيهِ انساً ولطفاً وعلماً وهو مولع بفنّ الموسيقى وقد الّف فيهِ كتاباً ضخماً وربط الغناء الهندي بعلامات كعلامات الغناء الاوربي

وفي كلكتا دارٌ للآثار والمعروضات وهي بناءٌ فخيم من اعظم ابنية الهند واقع في اجمل مكان من المدينة وامامهُ الساحة العمومية . وقد ذهبنا لزيارتهِ فوجدنا فيهِ معارض لكل نوع من الحيوان من طير ودوابّ وهوام واسماك

بين حيّ ومحنَّط ورأينا فيهِ بعض هياكل الحيوانات المنقرضة . ومعارض اخرى للنبات والحبوب وغيرها للمعادن والاسلحة والاصنام الهندية ومعرضاً لصنائع الهند كالصياغة والنجارة والنساجة والتصوير وغير ذلك . وفي جملة المعروضات هناك تماثيل كبيرة تشخّص اصناف البشر بتركيبها وهيئاتها والوانها فترى القوقاسي والاوربي والهندي والصيني والافريقي والزنجي الاميركاني والاعرابي والكردي والتركي وكلها متقنة الصنع وعلى قدمي كل تمثال لوحٌ مكتوبٌ عليهِ اسم الجيل الذي هو منهُ . وقد رأينا جثة انسان محنَّطة أُتي بها من مصر وكذلك بعض عاديّات من آثار بابل مكتوبة بالحرف المسماري اي الاشوري

اما الاصنام المجموعة من اطراف الهند فكثيرة ومتنوعة لكن لا اتقان فيها وهي شنيعة المنظر لا تناسُب في تمثيل اعضآئها بعضها من حجر سماقي وبعضها من حجر اسود او ابيض وبعضها من رخام

وفي مدة وجودنا هناك كان بعض النجارين من الصينيين والهنود يشتغلون في الدار المذكورة بصنع هيكل جسيم من الخشب يمثل معابد وثني الهند يبلغ ارتفاعهُ اثني عشر متراً عليهِ تصاوير بديعة ونقوش مجسَّمة وكان القصد منهُ ان يُرسَل الى معرض باريز الذي فُتح في ١٥ نيسان سنة ١٩٠٠

(ستأتي البقية)

من كلام الشاطبيّ اشتغالك بوقتٍ لم يأتِ تضييعٌ للوقت الذي انت فيهِ